فن الشعر واجهة اللغة العربية في تشاد
من خلال قصيدة عندما تحكي العربية
للشاعر: عبد القادر محمد أبه
دراسة وصفية تحليلية

إعداد

حسين أحمد جمعة

عضو هيئة التدريس بجامعة انجمينا

إصدار ابريل لسنة ٢٠٢٣م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

المقدمة :

يبدو أن التجربة الشعرية التي أسهمت في إنتاج هذا العمل الشعري الرائع للشاعر عبد القادر محمد أبه، هو التفكير في وضع اللغة العربية في تشاد. الذي أسهم في تفجير الانفعال الشعوري، فعبر سائقا الحديث عن تاريخ اللغة العربية، واستنطاقها فعبرت عن نفسها في وضوح تام.

ويبدو أن عملية الامتزاج ما بين اللغة العربية والذات الشاعرة ، قد أسهم في التفاعل بينهما ، وانصهار اللغة العربية في الشاعر انصهار الاثنين في شيء واحد ، يعبر عن القضية التي يعيشها ويعايشها ، وذلك لأنها بذرة في وجدانه وقد ساق الشاعر عبد القادر محمد أبه قصيدته في سلاسة وبراعة فنان مقتدر، وقد ساعده سعة أفقه المعرفي وامتلاكه لزمام اللغة، ومعرفة أوضاعها في وطنه من تقديم عمل فني فريد من نوعه في الأدب التشادي المعاصر، ومن خلال أربعة مباحث ، تناولت الموضوع بحثاً وتوثيقاً ، وآمل أن أكون قد تمكنت من تقديم الموضوع في مصداقية ومنهج علمي يلتزم بالوصف والتحليل.

وأسأل الله تعالى التوفيق واعتذر عن كل خطأ في طيات هذا البحث الموجز. والله المستعان.

الباحث : الدكتور/ حسين أحمد جمعة

المبحث الأول : نشأة اللغة في القصيدة

فن الشعر ترجمة لمنعطفات الحياة بكل أبعادها، ومحور يدور حوله الشعر، هو الإنسان، والإنسان هو أساس المجتمع، والمجتمع لا يكون مجتمعاً إلا بوسيلة وأداة تربط بين جميع أفراده ، وتكون أداة تواصل واتصال ، وأداة تعبير وإفصاح عن الحاجات ، وأداة تفكير وإبداع ، وأداة معرفة وعبادة ، وأداة فن وتراث ، واللغة بهذا الوصف هي أساس قيمة الإنسان ، وعنوان الحضارة والثقافة ، ومقياس لوضع الإنسان والمجتمع في ركب الحضارة الإنسانية.

واللغات الإنسانية كثيرة ومختلفة في خصائصها ، واللغة العربية هي من أروع اللغات الإنسانية ، وامتازت بأنها لغة الفن الشعري منذ باكورة التاريخ ، ولم يبلغ مكانتها في هذا الفن أي لغة أخرى، وذلك يرجع لمستوى ، وعمق معانيها وسعت مفرداتها وألفاظها ، وقد زادت مكانتها وارتقت إلى المستوى الروحي المقدس عندما زانها الإسلام، وصارت لغة العبادة والدين، وعبر قصيدة (عندما تحكي العربية) ، تعرض الشاعر عبد القادر للحديث عن اللغة العربية عموماً ، واللغة العربية في تشاد خصوصاً ، وتناول الحديث عن موطن اللغة العربية ونشأتها في بلاد الحجاز أو الجزيرة العربية جغرافياً ، وقد استند الشاعر على منعطفات التاريخ ، ويبدو أنه مطلع جيد ، وذو ثقافة واسعة مكنته من الاستفادة من تلك المعلومات العلمية ، وإحالتها إلى قصيدة شعرية رائعة، ويستقرأ الشاعر التاريخ ، ويقف أمام اللغة العربية، ويستنطقها عن مرابع نشأتها فتجيب اللغة العربية قائلة:

رتعت لمد أزمان [1]

بأرض جزيرة القحطان

تهامة يثرب نجران

[1] - عبد القادر محمد أبه ، عندما تحكي العربية ، تشاد جرافيك للطباعة والنشر والتوزيع ، انجمينا ٢٠١٥م ، ص ٣

بنجد العرب يا إنسان
بمكة في بنـي عـدنان
تجلت حكمـة الرحمن
فصرت وسيلة العربان

فالنشأة كما نقول العربية ، بأرض الجزيرة العربية ، حيث بلاد قحطان بمناطقها العريقة مثل تهامة ، ويثرب ونجران ، ونجد ومكة بلاد قريش ، وكان حج البيت هو الضمان الذي حفظ اللغة العربية قبل الإسلام ، حيث اجمعت الألسن المختلفة على لسان واحد ،يتواصل به العرب ،ولتنفرد لغة قريش أو لهجتها من جميع اللهجات العربية،لتصبح لغة مشتركة بين الجميع ،ولسان واحد يفهمه الجميع ويتواصلون به.

وتناول الشاعر عبد القادر محمد أبه ، العامل الذي ساعد على دعم العربية ، وزادها قوة ورفع من شأنها فتقول اللغة العربية.

وشاء تبـارك الرحمـن
بنشر النور فـي الأركان
وطمس عبـادة الأوثان
فأنزل ناســخ الأديان
وأرسل من بني عدنان
نبياً ساطع البــرهان
تلايا أيــها الإنــسان
تقدم جـاءك الإيمـان
بلفظ معجـز وبـيان
فكنــت دلك اللسـان
بنص جاء فــي القرآن
فصرت قريـنة الإيمان

يصور الشاعر مرتكزات قوة اللغة العربية ، التي رفعت من درجتها ، كما تخبر اللغة العربية ،بأن عوامل قوتها نبعت من مشيئة الله عز وجل، وارداته،بنشر النور[1] في أرجاء المعمورة،وذلك ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم يبشر بملة الإسلام الذي صار دعامة اللغة العربية،لأن القرآن الكريم نزل بها. لسان عربي مبين،وكانت اللغة العربية هي اللسان الذي حوى هذا الدين،وصارت بذلك قرينة الإيمان.

ويستنطق الشاعر اللغة العربية التي تتشرف بمناقبها ، وتفتخر بأنها لغة الدين والتعليم والعبادة، ولغة الجهاد بالشعر ، حيث يشعر بها حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وأنها اللغة التي حملت الدين ونشرت أمجاده وهي التي اشتملت على صيغة التوحيد حيث يردد الجميع ، كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم ، فتقول : [2]

صـرت لغـة التعلـيم والعبـادة

في مسجد أوجيهة قد لا مست سجاده

وكنـت عـدة حسـان في جـهاده

صدى وجيب الناس مـا دعت عباده

وصوت توحيد الإله كان بي ترداده

لا إلــه إلا الله ورد الزيــادة

محمد رسـوله إلــى عبــاده

وتستطرده اللغة العربية الحديث عن مكانتها ، والسمات التي تميزها عن اللغات الأخرى ، بأنها لغة الدين والعبادة، في الصلة بين العبد وربه ، وفي مناسك الحج فنقول[3]:

وفي مناسك الحجيج تقول بي لبيك

---

[1] - المرجع نفسه ، ص ٣-٤

[2] - المرجع نفسه ، ص ٤

[3] - المرجع السابق ، ص٥

إن قلتــها عربيــة سعديــك
فإنني هدية إليــك
وإنني وصية عليك
وأنني وسيلة تشـد ساعديـك
حويت شرع الله كله فما عليك
إذاعوت كلاب الحي لا عليك
فإنني ساكنـة بنـور ناظريك
إلى أن تقول :
وإنني ديانه حضــارة فـي سالفيك
وأنني إشراقـة مستقبـل لتتالـيك
لا تنكرني ناطقي فإنني سواد مقلتيك
ويستطرد الشاعر، لإبراز سمات اللغة العربية قائلا[1] :
من غيري من اللغة حوى في صوته غنة
فصاحة نـص المقـروء كم تبدو له رنة
تعلمني تعلمنــي فإننــي لغـة الجنة
ولغة خاتـم الرسـل حويت الدين والفن
إذا شئت تحدثني وإن أعرضـت لامـنة

في هذا المقطع ، تتداخل ذات الشاعر وتتماهى في اللغة روحا وجسداً في كيان اللغة.

ويبدأ الفقرة بالاستفهام (من) ليشكل صيغة تساؤلية مؤسسة على استفهام استفساري ، يعكس التميز والتفرد ويوحي بالفخر والاعتزاز، ليشكل إجاباته الشعرية المكانة والرفعة ، وليرسم من خلاله الغبطة والسرور والسمو والرقي في فضاءات التواصل

[1] - المرجع السابق ، ص٦

الإنساني ، وأدوات الفكر والثقافة وإبراز مكانة اللغة العربية من بين جميع اللغات الإنسانية[1].

ويشير الشاعر إلى فضائل اللغة ومآثرها ، وارتباطها بالعاطفة الدينية ، وبأنها ليست لغة عالم التغير والصيرورة فقط ، وإنما هي لغة عالم النبات والديمومة أيضاً.

فمن خلال ما تم عرضه ، قام الشاعر بتقديم اللغة العربية من حيث موطن النشأة، ومراجعها التي رتعت فيها ونمت وتطورت وازدهرت حتى تكاملت ، لتسع كتاب الله والشريعة الإسلامي كما أن اللغة هي الأساس في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، ويمكن وصفها بأنها كساء الأدب، وصورة تحتوي جوهرة وتعطيه الشكل المميز التي تبتدي عليه هيأتها ، وتظهر كيانه[2].

وساق الشاعر مرتكزاً على دعامات التاريخ ، بأن اللغة العربية ساعدتها العديد من العوامل التي أسهمت في ازدهارها.

ومن هذه العوامل ، الحج إلى بيت الله ، الذي ساعد على توحيد اللهجات العربية في لهجة قريش، التي أمست لغة التواصل بين جميع العرب، كما أن بعثة النبي النبي صلى الله عليه وسلم ونزول قرآن بهذه اللهجة ساعد على انتشارها، وتقويتها وتميزها لذلك صارت هي لغة التعليم ولغة العبادة، كما هي لغة الفن، وهي اللغة التي تكمن في كل الزوايا والأركان والأماكن والمعاقل ، وهي عدة حسان في جهاده بالكلمة ولغة تزيد كلمات التوحيد، وتمتاز بين جميع اللغات بأنها لغة الضاد ولغة الغنة.

وإن عواء كلاب الحي، لا يؤثر فيها، فهي في حمى الرحمن منزل القرآن، وهي وسيلة نشر الأديان.

---

[1] - د. خضير درويش ، شعرية التعبير والتصوير في الشعر العربي المعاصر، مكتبة وهيئة ط١، ٢٠١٧م ، ص ١٣١

[2] - قريرة زرقون نصر ، الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، طرابلس ١٩٩٢م ، ص ٢٥٩

المبحث الثاني : اللغة العربية في الممالك التشادية

في النص الشعري ، يستنطق الشاعر اللغة العربية ، وكأنه يسألها هل تعرفين أرض تشاد فقالت اللغة العربية.

أرض تشــاد أعرفــها منذ الشاعـر الأسـود
بكانــم فــي دواويــن ومجلسهم كذا المسجد
ودور العلــم تعرفـني وكنت لسانــها الأوحد
وكنت دليلها الهـادي وكنت رباطــها المفرد
وكنت حضـارة ابنــي شريعتها إلــى الأمجد
وكنت النغم في النادي وشاعرهم بمــا غـرد

فالنص عبارة عن إقرار بأن العربية قد انتشرت في تشاد منذ فترات ضاربة في القدم ، وقد قدمه الشاعر بشهادة اللغة نفسها حيث نطقت شاهدة بأنها تعرف أرض تشاد منذ فترة الشاعر الأسود ، وهو الشاعر أبو إسحاق بن يعقوب الكانمي الذكواني ، وهو شاعر تشادي ، ولد بكانم سنة ٥٥٠هـ ، ويعتبر هو أول شاعر تشادي ، نتيجة لوصول شعره إلينا، يدل ذلك على عراقة اللغة العربية في أرض تشاد[١].

وقد ساق الشاعر عبد القادر عراقة اللغة العربية في تشاد عبر استنطاق اللغة العربية في دواخله ، ويعبر عن لسان اللغة ، وكأنما صار هناك تماه بينه وبين اللغة، أقرب إلى الحلول منه إلى الامتزاج والانصهار، فصارت أداة التعبير تكمن في المعبر ، وتستحيل إلى هواجس وجدانية ، تتجلى في دقة التصوير عبر هذا التعبير الذي يعتمد أحياناً الأساليب التقريرية ، لأنه يقدم معلومات تاريخية لا جدال فيها، فالعربية لغة الدواوين الحكومية ، ولغة مجالس الجماعة واللغة كانت عامرة في المسجد ، وكانت لغة التعليم كانت اللغة الوحيدة التي تربط بين جميع فرقاء

[١] - المرجع السابق ، ص ٨

المجتمع الكانمي ، فكانت بذلك لغة الحضارة والثقافة والفكر، ولغة الشريعة وكانت وسيلة النغم في النوادي ، وبها غرد الشاعر متخذاً الناي رمزاً للتغريد والغناء.

وفي البيت الأخير تتسامى مشاعر الشاعر ، فيذهب بعيداً في التجريد، الاستعاري حيث يجعل اللغة نغماً ليمهد له الحديث بأنها سلاسة اللغة في التعبير الشعري[1] وتلك النغمات المشاعة في أصوات العربية ، من صفير في الصاد ، وشعشعة وانتشار في الشين وجلجلة الكاف، ورنة حزينة في النون، وصرامة في الهمز، ويتخذ الشاعر كل هذه الأصوات ويضفرها لتصبح سمفونية جميلة تعكس التغريد باللغة ، فانتشار العربية في مملكة كانم، يعني إطلالة الخير والعلم والثقافة والتعليم في أرض تشاد ، كما شهد التاريخ.

ثم تشرف الشاعر ، قمم العلم والدين وروابي الحضارة والثقافة والمجد، التي عرفتها بلاد تشاد فيعبر بلسان اللغة ، في امتزاج بين الذات الشاعر وأداة الشعر ، فيقول :

بمملكـــة لباقرمـــي علـوت منابـر أبقار
علمـــاء بهـا إعـلام علم الدين بكل فخار
سمـو تقوى علو ديناً أعدو نظموا الأشعار
بكـــل براعـــة كانـوا جواهر لغـة وبحـار
وشد الناس من وداي ومن كانم لهم أسفار
وظل الناس يغترفون من باقرمي علما فائضاً مدرار
وظلت لغـة فصحـى تشـع جلالـة ووقـــار
وظل العلم في أبقار يتـــوج هامـة الأفكـار
هنا خطب مناظرة هناك مجالس الأشعار
هنا درس يتوجـه دعـــاء بعـده أذكـار
هنا هامات أهل العلم قد خضعت تجللها وليس فخار

[1] - خضير درويش ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

أنها الحصن الثاني في ربوع أرض تشاد ، حصن بقلاعه المنيعة الثرية بالعلم والدين والشعر والمعرفة ، هي حصن العربية في تشاد، مملكة باقرمي ، التي انتشرت العربية في ربوعها، وفي مدينتها رمز العلم وموطن العلماء ، مدينة أبقار ، حيث شاعت سمعتها العلمية والدينية في ربوع البلاد ، فشد الناس إليها رحالهم من وداي، ومن كانم، يغترقون من معينها العلمي ويتزودون بارشادات علمائها الأفاضل، من أهل التقوى والورع، فكانت أبقار منارة تشع بنور العلم.

وعبر الأسلوب التقريري، يكشف الشاعر عن أوتاد ثبات وعراقة اللغة العربية في أرض تشاد، يبرز دعائم الرسوخ والثبات وعراقة اللغة العربية في بلاد تشاد، كاشفاً عن ارتباط الإنسان باللغة، التي صارت هوية ترمز عن أصالته، وصار عقيدة تعكس سموه الإيماني، مازجاً بين الحقيقة والخيال في روابط وثيقة بين الخيال ووحدة العمل الفني، إذ هما مترابطان متلازمان ، كما يبدو من عباراته، بمعنى أنه لا تتحقق وحدة الشعر بدون خيال، كما لا يكون خيال بدون تحقيق الوحدة[1].

كما أن وحدة الصور في النص الشعري تسودها وحدة عضوية يؤدي بعضها إلى الآخر ، في جرئيات الصورة مستقلة كل واحدة عن الأخرى، إلا أنها في النهاية تؤدي إلى نسيج متكامل فهي مستقلة وخاضعة في الوقت نفسه.

وتضافر الصور يبني إطارا يشتمل على مكانة اللغة العربية في رحاب مملكة باقرمي، من خلال الحركة والنشاط الذي يعكس مدى اعتكاف العلماء على منابع العلم الغريزة ، التي قامت نوراً ومعرفة وتقدماً ، وشاعت أنوارها في جميع أقطار السودان الأفريقي، أنه العز والفخر، والأساس بالغيطة والرفعة التي تعكس دواخل الشاعر، وتوحي بما يعتمل عليه وجدانه.

وتسوق اللغة العربية الحديث عن عراقتها في تشاد وإنما سبب شهرة تلك الممالك وازدهارها، ومكانتها التي لم تبلغها إلا بالإسلام ، فكما انتشرت اللغة ونشرت معها

---

[1] - د/ أحمد عوين ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط١، دار الوفاء لينا للطباعة والنشر ، ٢٠١٠م ، ص٥٢

الخير والهوية والعقيدة والعلم، في كل ربوع الممالك التشادية ، كانم وباقرمي، كذلك انتشرت في بلاد وداي ، تقول العربية[1]:

عرفت بـلاد وداي وعبد الحـق إذ يمـدح
وإذ يبكـي معلمـه وشجن الحزن كم اترح
حويت توسل التلبي وما كنى وما صـرح
عرفت العلم في مهد وكان صباحـهم أصبح
رأيت بدائعاً فيـها فأغرتـني بأن أفـرح
وكنت اللغة الأولى أصول بها وكم أمرح
شريعتهم محاكمهم مجالسـهم ولـم أبـرح
لسان الناس في وارا وفي أبشـه من أصـلح
وكنت بيان دود مرة وصابون ومـا صرح
عليش علـم النـاس بألفاظـي وقـد أفلـح
وآدم بركه إذ درس أو فسـر بـي يشـرح
وجيل العلم والعلماء والطـلاب كـم تكـدح
لتلفظ كلمة فصحى فكـان لسانـهم أفصح
معاهدهم منابرهم منائرهم بهـا تصدح[2]

يصور الشاعر حلول اللغة العربية على أرض مملكة وداي فيعمد إلى تشكيل صورة مكانية (بلاد وداي) على الرغم من تقديمها في لفظين، إلا أنها اشتمال لكل الأبعاد الطبيعية والإنسانية، والقيم والتطلعات في هذه الأرض غير أن اللغة كما استنطقها الشاعر ، أعجبت بنفسها عبر إعجابها للتعبير الشعري الذي يسوقه الشاعر عبد

[1] - عبد القادر محمد أبه ، عندما تحكي العربية ، مرجع سابق ، ص ١٠
[2] - المرجع السابق ، ص ١٠

الحق السنوسي أحد إعلام الشعر في مملكة وداي، عرفته في حالة الفرح كما عرفته في حالة الحزن النبيل، الحزن الذي يعكس ضيق النفس وانقباضها ، حزناً على فقدان أحد إعلام العلم والدين، إشارة إلى قصيدة عبد الحق السينية، وفي ذلك دلالة إلى رحابة ميدان اللغة، وإشارة إلى تعمق الشعراء والعلماء من زمام اللغة، وتوسع آفاقهم العلمية والمعرفية ، ويعكس ذلك دلالة على رفعة مكانة العربية، ورفيها في بلاد وداي ، التي كثر فيها الشعراء وانتشر فيها الشعر، والعلم والدين والتأليف في فنون العلم.

وتشير العربية إلى مكانتها عبر الصوفية التي يمثلها الماهر التلبي حيث ينظم قصائد وأشعاراً طاهرة المعني في مدح ذات الرسول صلى الله عليه. وسلم كما ينضم أشعاراً خفية المعنى في الصوفية والتصوف التي تتخذ العبارات والمفردات عند معان أخرى باطنية ، لا يعرفها إلا رجال الصوفية ، وذلك في قوله[1] :

حويت توسل التلبي وما كنى وما صرح

وتعبر اللغة العربية عن فرحتها، بهذه الأرض التي صارت مهداً للعلم، ومنبعاً للبدائع العلمية، وبأنها صار اللغة الرسمية في رحاب الحكم ومجالس العلم والعلماء والمحاكم والقضاء، وأنها كانت لسان الناس في وارا وكذلك في أبشه عاصمة السلطنة منذ عهد صليح ، وكانت هي أداة لتعبير التي عبر بها دود مرة ، قائد المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي،كما كانت هي وسلة التعبير التي عبر بها السلطان صابون ،كما أنها لغة التعليم التي علم بها الشيخ غليش عووضة وقد أفلح في تعليمه،حيث أخرج أول نواة للتعليم النظامي العربي في تشاد،كما كانت هي لغة آدم بركه حيث يدرس اللغة، أو يفسر القرآن الكريم،بكل فصاحة وجدارة،دلالة على امتلاك أمام اللغة وإبعادها اللغوية والدنية.

[1] - المرجع نفسه

فاللغة العربية، صلتها بأرض تشاد ترجع إلى مملكة كانم، ثم باقرمي ثم وداي، في فترة امتدت إلى تسعة قرون من الزمان ، وقد أتاحت لها هذه المدة ، من الانتشار على جميع المجتمعات التشادية وإلى العامة، فكانت هي لغة التواصل والاتصال بين جميع أفراد المجتمع التشادي، في جميع أربعاء البلاد ، وبذلك كانت واجهة ثقافية ، وكانت قيما دينية ، وصلت لحد القداسة ، في قلوب الرعاية المتمسكين باللغة العربية على أنها الوجه الثاني للدين الإسلامي.

وعند تأملنا لهذه المكان ، ندرك بأن اللغة العربية كامنة في كل ذات تتحرك في أرجاء هذه البلاد.

المبحث الثالث : اللغة العربية في الدولة التشادية

تربعت اللغة العربية قى قمم الممالك التشادية الثلاثة ، وكانت عز مجدها وعنوانها ، وفي أعلى مراتبها ورفعها حيث كانت اللغة الوحيدة الجامعة لأفراد المجتمعات التشادية آنذاك ، وكانت لغة الدين والعقيدة ، والتعليم الديني والعربي ولغة المعاملات والمراسلات مع الكيانات السياسية المعاصرة للممالك الثلاث.

كما كانت العربية لغة الفن والأدب، وانتشرت على نطاق واسع وتغلغلت إلى قلوب الناس ، فعشقوها لغة وديناً وعلماً وفناً ، وهكذا استمرت الحال في عز وازدهار ، وكما يقال إن لكل جنة إبليسها، حيث زحف الاستعمار إلى أرض اللغة العربية، وكأنه حية عملاقة من أفاعي الأساطير إلى تشاد ، وبدأ بابتلاع كل مظاهر الحضارة والثقافة التي لا تصطبغ بألوان أوروبية.

ووصلت الحية العملاقة إلى بلاد تشاد، وبدأت بابتلاع كل مظاهر الثقافة والحضارة والهوية العربية الإسلامية ، ومن منطلق سياق القصيدة، أن وضع اللغة العربية في أرض تشاد قبل مجيء الاستعمار، حالة مستقرة ، كما يقول الشاعر على لسان اللغة العربية:

أنا العربيــة فـي تشـاد حفـرت بـحار
وكنت اللغة الأولى لكـل الناس في الأقطار
وكنت هوية الشعب وكنت غايــة الأوطـار
وكنت المدح كنت الذكر كنت العلم والأشعار
وكنت حضارة سمقت تلامس مكمن الأمطار [١]
وكنت الأمن كنت العز كنت سكينـة استقرار
إلى قوله عند مجيء الاستعمار[٢].
فجاء الدب يؤدني منيت خسارة ودمار

نجد أن اللغة العربية ، كانت تعرف مدى عراقتها وقوة جذورها ، وسكناها في عقول وقلوب الناس ، فقالت تتحدى المستعمر[٣].

ألا تدري بأن الجوهر الكامن لا يقلع كالأشجار.

وإشارة إلى مذبحة الكبكب التي قصد الاستعمار من ورائها اجتثاث اللغة العربية، يقول الشاعر [٤]:

فمهما جـار ساطـور ستفصح جوره الأشعار
بلغة الضــاد والتبيان والقـــرآن والأذكـار
فحاول مـرة أخـــرى تزيـد شرارتـي إسعار
فلست ثقافــة جو فاد أفرض عـنوة ونــهار
أنادين أنا حلم أنا لغة أنا من رحمة الجبــار

فالتحدي الذي أظهرته اللغة العربية للمستعمر، رغم قوته وعتاده وعدده وجبروته ، فقد كانت اللغة العربية تستند إلى الإيمان والإخلاص والوفاء في قلوب الرجال، هذا

---

[١] - عبد القادر محمد أبه ، لغة الضاد في تشاد ، مرجع سابق ، ص ١٢
[٢] - المرجع نفسه ،ص ١٢
[٣] - المرجع نفسه ،ص ١٣
[٤] - المرجع نفسه ،ص ١٣

الإيمان هو بمثابة جبال من الصمود أمام زحف الاستعمار ، فكانت تعلم أنه مهما عانى هذا الشعب ومهما قتل وعذب إلا أنه لن يتخلى عن لغته عن دينه عن هويته.

وعانت اللغة العربية في فترة الاستعمار الكثير من الويلات إلا أن ظهرت الدولة التشادية ، عام ١٩٦٠م وقد ورثت الدولة التشادية معاداة اللغة العربية من الاستعمار فعكفت السلطات على معاداة اللغة العربية ، كما تقول :

محنتـي بأرض التشـاد محنـة أسيـة
في فترة قـد حاربـوني لغـة محكيـة
وكمموا الأفواه مـن تعليـم الأبجديـة
والبسوني في عيون الناس جبة صوفية

في فترات من تاريخ هذا البلاد، عانى كل من يتحدث العربية ، باتهامه بالتمرد والثورة ، كما أن كل من يتحدث العربية يوصف بأنه مجرد فقيه وصوفي ، لا غير ، أي أنه لا يعرف من العلم إلا بحدود هذه الجبة، ولكن لماذا يخاف الجميع من اللغة العربية ، تجيب اللغة العربية على لسان الشاعر :

أفزعتـهم لأننـي وهذا الديـــن وحـدة أبديـة
أفزعتـــهم لأنـــني حضـــــارة شرقـــية
أفزعتهم لأنني شفافـة شعبـية وليـس نخبوبية
أفزغتهم لأنني أحرار العقول من سلاسل الرجعية
أفزغتـهم فقــط لأننـي لغــة عربــية

إذن الخوف من اللغة العربية وقوتها وثباتها ومكانتها هو السبب الهجوم عليها ومحاربتها ، بكل الأساليب اللاحضارية، ويعبر الشاعر على لسان اللغة العربية قائلاً[١] :

[١] - عندما تحكي العربية ، مرجع سابق ، ص١٤

فصرت فـي شخـص عليش لغة منفية
وصرت في عرف النصارى لغة أجنبية
فحاولــوا أن يقلعـوني قلـعة أبدية
جذوا الرؤوس بالساطـور فعلـة خسية
وشردوا العلماء مـن قراهـم النديـة
ساقوا الأطفال كالجـزار سائقاً ضحية
إلى زنزانـات مدارس اللغات الأجنبية
متى التعليم كان عنوة منذ عهد البابلية

هذه أصناف العذابات والمعاناة التي عاشتها اللغة العربية بجانب فترة الاستعمار، النفي، الاستحقار، التهميش، التشريد ، القتل، الحبس، ثم اعتقال الأطفال لزجهم في مدارس التعليم الفرنسي الكنسي، واستمر هذا الوضع إلى حد قول الشاعر :

وأعلنــوا استقـلال
نهايـة احتــلال
وإننــي كلغـة استقـت المــجال
وكان نفر مخلصين قد حاولوا المحال
فسطروني لغة من ضمن لغات البلد
تعليمها كــبد كابتـها يعني الكـمد
وغدها ، ناظره كمـن يـرى بعين
قد تغشاهــا رمـد
وصار البعـض يهـتفون
عربية قد اختفت إلى الأبد

هكذا كان وضع اللغة العربية عند بداية الاستقلال ، ولكنها كانت كامنة في كل الأشياء ، في كل مظاهر الطبيعة في كل نشاط إنساني في الكهوف في الجبال في

الوديان والأرياف والقرى، في التكايا والزوايا، والمساجد ودور العلم الخفية، وحلقات الذكر، وأوراد الصوفية، ومجالس مدح الرسول صلى الله عليه. وسلم ، وفي الخلاوي ، وفي السجادات والمنابر.

فقول العربية :

ما كانوا يحسبون أن النار تحت ذلك الرماد
ما كانوا يدركون أنني بذرة ودوحة في كل واد
ما كانوا يعرفون أن الريح تنثرني مع الهواء في الوهاد
ما كانوا يعرفون أنني جوهرة مكنونة في قلوب بررة العياد
ما كانو يدركون أنني مسبحة في طرق السجاد
ما كانوا يدركون أنني أرعى مع البقر
وأنهم يدرسوني تحت أوراق الشجر
وأنهم يشربوني ضمن قطرات المطر[1]

ظلت العربية كامنة منتشرة تحت ألف برقع وقناع ، وكانت في نمو مستمر ، فلابد أن نتعامل معها الكيانات السياسية لأنها إرادة الشعب ، وأنها هوية الشعب، وأنها أصالة.

تقول العربية :

وانقرتا على مضض يداهنني
فطوراً إنني ثورة ، وطوراً لغة الوطن
وأحياناً أنا خطر يهدد آمن السكن
وأحيانا يهددني وأحيانا يسايرني
يراقب ناطقي دوما لأن الدين يلبسني
فعشت الرعب يغمرني وشبح السجن والكفن

[1] - عندما تحكي العربية ، مرجع ساق ، ص ١٦

فثار الناس في منقلمي في فايا علـى المـحن
فقام الجيش مبتدراً وأسكـت زامـر اللـحن
رأيت مصائب الدنيا ، عرفت كراهة العسكر
يزيد البعض ما شهدوا مدارس لغتــي تكبر

وعاشت العربية ، في رعب وخوف من السجن والقتل والاعتقال التعسفي لكل من يتحدث العربية إلى أن جاءت دولة أخرى كما تقول العربية[1] :

وجـاء عسكر الشمال
مطـاياهـم جمـال
وصبرهــم حبـال
بيوتهم مخابـئ الجبال
غايتهم نضال ، ويعرفون لغة النصال
فنصبوني لغـة تـدرس في الأركان

وعرفت الغلة العربية بعض الانفراج في عهد الرئيس حسين هبري، الذي سمح بإجراء الشهادة الثانوية العربية في تشاد لأول مرة عام ١٩٨٧م ، وبذلك فتح الأبواب الموحدة أمام طلبة اللغة العربية، غير أن الدولة التي جاءت بعده قد شرعت الأبواب ، ووسعت المداخل ، وأتاحت الفرص أمام التعليم العربي، الذي أسهم في تقوية العربية لدرجة الدكتوراة ، أنه العصر الذهبي للغة العربية.

[1] - المرجع السابق ، ص ١٩

المبحث الرابع : اللغة العربية في عهد ثورة الإنقاذ

يعبر الشاعر عبد القادر على لسان اللغة العربية قائلا :

وجاءت ثـورة ٱلإنقاذ[1]

لتكسر قبضـة الفولاذ

بهمة قـوة الأفـذاذ

وعم الأمـن كالـرذاذ

وأعلن الرئيس أنـها هديـة

لا جرة مملؤة مسبائك ذهبية

ولا جرار ملئها دوائر فضية

لكنها هدية واسمها الحريـة

وعندما هبت نسائـم الحرية

رأيت ناساً فجـروا القضـية

ومع هبوب رياح الحرية، ونسائم الديمقراطية التي كلفت حرية التعبير عن الرأي ، أبدى البعض أراءهم تجاه اللغة العربية في المؤتمر الوطني ، وجعلوها موضوعاً للنقاش والجدل ، تقول العربية[2].

وصفوني بأنـني بعيـدة قصية

وأنني لست من اللغات الوطنية

وأن هذا الوطـن واضح الهوية

وأن لا مكان فـي تشاد للعربية

وإن تكن فإنـها رطـانة قبلية

[1] - المرجع نفسه ، ص ٢١

[2] - المرجع نفسه ، ص ٢١

انعكاس لبعض الآراء الكارهة للغة العربية ، خوفاً على أنفسهم منها، فساق هاجس الخوف كل هذه الإدعاءات ، العربية دخيلة إلى تشاد، انها لغة قبيلة من القبائل التي وفدت إلى تشاد، ولا مكان لها بين اللغات الوطنية، نحن نرفض العربية. أخرجوا العربية من الدستور يقول الشاعر[1] :

تجادلوا تخاصموا في المؤتمر
وصار الوضع حساساً كما الوتر
واتفقوا جميعهم بأن تقر
لغتان في بلاد التشاد أيها النفر
وأنفض جمع المؤتمر
وحاك بعضهم مكائداً وشر
البعض قالوا أنها ثقافة دخيلة
والبعض قالوا أنها هوية أصيلة
والبعض جهزوا الشموع أشعلوا القبيلة
درسوا العامية فتصبح عليلة
مع السنين قد تموت اعتباطاً
ولن تكن أبداً شهيدة قتيلة
وصار بعضهم يرغى ويزيد كما البحر
لأنهم قد فشلوا وأن الحق انتصر

وهكذا انتصر العربية، وعاد لها عزها ومجدها السابق، وتربعت في عرشها ، وتوجها الرئيس إدريس ديبي إتنو صاحب الفخامة رأس الدولة مرشال تشاد توجها بتوسيع آفاقها، واعتمادها في الإدارة الرسمية ، وشيد لها الجامعات والمدراس، وفتح

[1] - المرجع نفسه ، ص ٢٢

لها آفاق وفضاءات رحية لتسمو في رفعة وسموق ، يقول الشاعر معبراً على لسان العربية[1].

فخامة ديبي توجني بتاج ثبت الأركان
وأرجع مجـدي المفقود من أزمـان
وشيد لي قصور العلم شامخة بكل مكان
ويخطب بـي بلفـظ واضـح وبيان

كما أن السيدة الأولى ، هندة ديبي إتنو ، قد أسهمت في رفعة العربية ، بتشجيع طلاب المدارس العربية ، وتحفيز حفظة القرآن ، والمشاركة في ندوات جمعية المثقفات بالعربية يقول الشاعر :

وهند ديبي كم جاءت تشجع حفظة القرآن
أرى ديبي تحدثني قضاني لغة رسمية
وفي الإعلام تسمعني لأني لغة وطنية
وأن الناس تلفظني بطبع زيد عفوية

وهكذا حازت اللغة العربية ، على مكانتها التي تستحقها كما تربعت على قلوب الناس ، كذلك تربعت في دواوين الحكومة، وتوسعت دائرتها أكثر من ذي قبل.

وتقر العربية بهذا الإكرام ، ممتنة ، وتقدم عرفانها بهذا الإقرار ، قائلة[2] :

أرى إدريس بوأني مكانة عزي الغابر
أوان المجد والسلطان أو أن عليش وعامر
أوان الصحوة الكبرى أو أن الشعر والشاعر
أوان الشيخ والعلماء والتأليف والذاكر
أوان النـاس تلفظني كأنهم بنو عامر

[1] - المرجع نفسه ، ص ٢١
[2] - المرجع نفسه ، ص ٢١

أوان حضـارة المجـد لا إفـرنج لانا كر
أوان تدللـــي فيـكم لا إفــراغ لا قـاهر

فاللغة العربية تقلبت أوضاعها بتقلب الدول، وعانت في بعض فتراتها، ولكنها كانت كامنة، فلما سنحت الفرصة، إذا بها تظل عملاقة قوية جميلة، مزداته بالشرع والنثر والمؤلفات الكثيرة، والأدباء والشعراء الأفذاذ من أمثال البروفسير محمد عمر الفال ، والدكتور حسب الله مهدي فضلة ، وأحمد عبد الرحمن إسماعيل، وأحمد جابر ، وموسى مختار ، وعبد الواحد حسن السنوسي، ورائد التيار التجديدي عيسى عبد الله، وعبد القادر محمد أبه الذي أبدع في قصيدته عندما تحكي العربية أو لغة الضاد في تشاد، وأتبع منعطفات اللغة العربية وطرقها التي سلكتها بين اليسر والعسر ، لتصل إلى قمة المجد والازدهار، عندما مدها المارشال إدريس ديبي إتنو صاحب الفخامة رأس الدولة ، بأساليب الرقي والرفعة ، وكانت أصلاً سامية سامقة ، وزادها هذا الانفراج سموا وعلواً.

فالغلة العربية في تشاد كما يقول عبد القادر على لسانها:

فإنني في هـذه البـلاد قضـاء وقدر
وأننـــي أصالـة هويـة الـبشر
وأنني وسيلة اتصال بينكم مدى العمر
وإنني كالدر مبثوث على سـنا القهر
وإنني منكم بكـم وبينكم مدى الدهر
وإنني آخـر مـا تلفظه يـوم السفر
مع أنهم قد حاربوا خفية دون الجهر
لكنهم قد ايقنـوا إن لا بشـر بكيده
يغالب القدر

الملخص والخاتمة :

في ختام هذا البحث المنجز الذي تناول موضوع فن الشعر واجهة اللغة العربية في تشاد ، من خلال ديوان : عندما تحكي العربية للشاعر عبد القادر محمد أبه، والذي تناول فيه الشاعر الحديث عن تاريخ اللغة العربية في تشاد متخذاً من المنعطفات التاريخية سنداً له ، وقام باستنطاق اللغة العربية ، فأعربت عن نفسها ، في سبك شعري فريد من نوعه تخبر عن حالها ، ومن خلال المباحث الأربعة التي يشتمل عليها البحث ، وعبر صياغتها توصل الباحث إلى النتائج التالية :

أولا: النتائج:

١. اللغة العربية شرفت أرض تشاد قادمة من موطنها الأصلي الجزيرة العربية.
٢. دخلت اللغة العربية إلى أرض تشاد حاملة معها نور الإيمان ولفظ القرآن في فترة مملكة كانم.
٣. اللغة العربية كانت منتشرة في مملكة باقرمي.
٤. اللغة العربية انتشرت في مملكة وداي وازدهرت فيها ازدهاراً كبيراً.
٥. من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار العربية، الإسلام، ووجود القبائل العربية في تشاد.
٦. كانت اللغة العربية هي اللسان السائد في جميع الممالك التشادية.
٧. عرفت اللغة العربية كثير من المعاناة في فترة الاستعمار.
٨. عاش مثقفو اللغة العربية الخوف والفزع في فترة حكم تمبلباي.
٩. حظيت اللغة العربية باعتراف رسمي خلال حكم هبري.
١٠. تعد الشهادة الثانوية انطلاقة عملية لدارسي اللغة العربية.
١١. تعرضت اللغة العربية للشك في انتمائها إلى تشاد خلال المؤتمر الوطني المستقل.
١٢. أكد الدستور التشادي رسمية اللغة العربية والفرنسية.
١٣. شهدت اللغة العربية تطوراً وتقدماً وازدهاراً في فترة ثورة الانقاذ.
١٤. وصلت اللغة العربية في عهد إدريس ديبي إتنو مكانة لم تصل إليها من قبل في تشاد من حيث الكم والكيف.
١٥. تمكن الشاعر عبد القادر محمد أبه من اختصار تاريخ اللغة العربية في تشاد بأسلوب شعري سلس ولغة متينة ومنطق مؤثر وتصوير فني بديع.

ثانيا: التوصيات:

يوصي الباحث بالتالي:

١. طباعة ونشر ديوان عندما تحكي العربية للشاعر عبد القادر محمد أبه.

٢. تكريم الشعراء والأدباء الذين عملوا على ترسيخ وتأصيل اللغة العربية.

٣. تخصيص أسبوع ثقافي تعرض فيه الأشعار المغمورة المؤلفة باللغة العربية.

المراجع :

١. عبد القادر محمد أبه ، عندما تحكي العربية ، تشاد جرافيك للطباعة والنشر والتوزيع ، انجمينا ٢٠١٥م

٢. د. خضير درويش ، شعرية التعبير والتصوير في الشعر العربي المعاصر، مكتبة وهيئة ط١، ٢٠١٧م.

٣. قريرة زرقون نصر ، الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث بالمغرب ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، طرابلس ١٩٩٢م.

٤. د/ أحمد عوين ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط١، دار الوفاء لينا للطباعة والنشر ، ٢٠١٠م.

Summary

This accomplished research, which dealt with the subject of poetry and the interface of the Arabic language in Chad, aims through a collection: When Arabic tells the poet Abdelkader Mohamed Aba, in which the poet addressed the conversation about the history of the Arabic language in Chad, taking historical turns as a support for it, and interrogating the Arabic language So, she expressed herself, in casting her unique poetry that informs about her condition. In this study, she adopted the descriptive and analytical approach.

First: Results:

The Arabic language honored the land of Chad, coming from its original homeland, the Arabian Peninsula.

1. The Arabic language entered the land of Chad, carrying with it the light of faith and pronouncement of the Qur'an during the Kanem kingdom;
2. The Arabic language was widespread in the Kingdom of Baguirmi.
3. The Arabic language spread in the kingdom of Ouaddai and flourished in it greatly.
4. One of the most important factors that helped spread Arabic, Islam, and the presence of Arab tribes in Chad.
5. The Arabic language was the predominant tongue in all the Chadian kingdoms.
6. The Arabic language experienced a lot of suffering during the colonial period.

7. Intellectuals of the Arabic language lived with fear and dread during the Temple period.
8. The Arabic language gained official recognition during Habre's rule.
9. The high school diploma is considered a practical start for Arabic language learners.
10. The Arabic language was subjected to suspicion of its affiliation with Chad during the independent national conference.
11. The Chadian constitution affirmed the official status of the Arabic and French languages.
12. The Arabic language witnessed development, progress, and prosperity during the period of the Salvation Revolution.
13. During the reign of Idriss Deby Itno, the Arabic language reached a place it had not previously reached in Chad in terms of quantity and quality.
14. Poet Abdelkader Mohamed Aba was able to summarize the history of the Arabic language in Chad with a smooth poetic style, solid language, influential logic, and exquisite artistic depiction.

Second: Recommendations:

1. The researcher recommends the following:
2. Printing and publishing a collection of poems when it tells Arabic by the poet Abd al-Qadir Muhammad Abah.
3. Honoring the poets and writers who worked on consolidating and rooting the Arabic language.
4. Dedicating a cultural week in which submerged poems composed in the Arabic language will be presented

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
المبحث الأول : نشأة اللغة في القصيدة	٢
المبحث الثاني : اللغة العربية في الممالك التشادية	٧
المبحث الثالث : اللغة العربية في الدولة التشادية	١٢
المبحث الرابع : اللغة العربية في عهد ثورة الإنقاذ	١٨
الملخص والخاتمة	٢٢
أولا: النتائج	٢٢
ثانيا: التوصيات	٢٣
المراجع	٢٣
Summary	٢٤